

علوم القرآن (الفصل الأول 2020 - 2021)

ذ. لحسن المؤذن

المحاضرة الثانية

تتمة المقدمة في علوم القرآن:

تضمنت ثلاثة مباحث:

- 1- مراحل نشأة علوم القرآن بالتفصيل
- 2- أول من ألف في علوم القرآن
- 3- أهم المؤلفات في علوم القرآن

مراحل نشأة علوم القرآن بالتفصيل

يمكن بشكل مجمل أن نقول مرت علوم القرآن من عدة مراحل:

- المرحلة الأولى: العصر النبوي: -

بحيث كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فيتلوه على أصحابه ويعلمهم إياه، وكانت جملة من العلوم معروفة عندهم لصفاء قريحتهم وسلامة

لغتهم وشهودهم التنزيل كأسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ والتفسير، لذلك لما سأل أبو جحيفة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه:

هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ وَقَالَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ» قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العقل، وفكك الأسير، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» «صحيح البخاري» (11/9).

وَعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ: أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ» قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ» «صحيح البخاري» (190/6).

ومع ما عندهم من علم بالعربية وبالتنزيل إلا أنهم كانت لديهم استشكلات حول معاني بعض الآيات أو المفردات القرآنية، فعن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: (وفاكهة وأبا)؟ فقال: أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. رواه أبو عبيد في فضائل القرآن.

- المرحلة الثانية: عهد الخلافة الراشدة:

وهذه الفترة هي بداية نشوء علمي رسم القرآن وإعراب القرآن، أو هي تمهيد لبواكير التدوين، فمصاحف عثمان التي جمعها أبو بكر الصديق في الجمع الأول تمثل أولى الوثائق المدونة عن علم رسم المصحف، ووضع علم النحو على يد علي بن أبي طالب كما ذكره ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء.

وذكر القفطي في إنباه الرواة عن أنباء النحاة (40/1) قال: ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو، يجمعون على أنها مقدمة على بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي. اهـ.

فيمكننا من هذا أن نعتبر أن الإمام علي بن أبي طالب وتلميذه أبا الأسود الدؤلي واضعا علم النحو أو علم إعراب القرآن، ويتفق المؤرخون على أن أبا الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو المتوفى سنة 69 هـ أول من وضع شكل القرآن أو نقط الإعراب (انظر المحكم في نقط المصاحف للداني).

-المرحلة الثالثة: مرحلة تدوين الحديث:

على رأس المائة الأولى بأمر من عمر بن عبد العزيز، وكان أول من دونه أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة 124 هـ، وإذا تفحصنا كتب السنة الستة وجدناها تحتوي على جملة كبيرة من أنواع علوم القرآن، فنجد الصحيحين قد اشتملا على: كتاب التفسير وكتاب فضائل القرآن، وفي "كتاب فضائل القرآن" في صحيح البخاري نجد مباحث من علوم القرآن مثل: نزول الوحي، وأول ما نزل، ونزول القرآن بلسان قريش، وجمع القرآن وتأليفه، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وفضائل السور، وأبواب في آداب القراءة.

وكذلك شأن السنن: ففي "سنن أبي داود" المتوفى سنة 275 هـ اشتملت سننه على: كتاب فيه الحروف والقراءات - تضمن أربعين حديثاً -، واشتمل أيضاً على: أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه.

وفي سنن الترمذي المتوفى سنة 279 هـ اشتمل جامعته على ثلاثة كتب: كتاب التفسير، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب القراءات.

وفي سنن ابن ماجه المتوفى سنة 275 هـ تسعة أبواب متصلة بعلوم القرآن: باب فضل من علم القرآن وعلمه، وباب سجود القرآن، وباب عدد سجود القرآن، وباب حسن الصوت بالقرآن، وباب ما جاء فيمن نام عن حزبه من القرآن، وباب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، وباب في كم يستحب ختم القرآن، وباب الأجر على تعليم القرآن، وباب النهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

المرحلة الرابعة: فترة أفراد بعض مباحث علوم القرآن بالتأليف: -

حيث ألفت مصنفات في مواضيع من علوم القرآن بشكل مفرد، مثال ذلك: - كتاب القراءات ليحيى بن يعمر المتوفى سنة 89 هـ.

وتفسير مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة 104 هـ رواه عنه بن أبي نجیح.
والناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى لقتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة 117 هـ.

وتفسير يحيى بن سلام المتوفى سنة 200هـ، الذي اختصره بن أبي زمنين المتوفى سنة 399 هـ.

وكتاب التصاريف له أيضا - يحيى بن سلام - وهو تفسير لما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه في القرآن الكريم - وقد طبع سنة 1399 هـ بتحقيق الدكتورة هند شلبي وصدر عن الشركة التونسية.

وكتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224 هـ.

وغير ذلك من المؤلفات في التفسير والنسخ وأسباب النزول وفضائل القرآن وإعجازه ومعانيه وغريبه والقراءات ...

وبعد هذا يتبين أن مجموع علوم القرآن بدأت تتضح معالمها من خلال أربع شعب:

الشعبة الأولى: علم الحديث وقد سبق الكلام على إسهامات السنة في علوم القرآن.

الشعبة الثانية: علم اللغة، ورائد هذه الشعبة ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره ألفاظ القرآن الغريبة بأشعار العرب، متمثلة في أجوبته عن أسئلة نافع بن الأزرق الخارجي - وهي حوالي مائتي لفظة فيها غرابة - استفسره عنها ابن الأزرق امتحانا وابن عباس يجيبه مستشهدا على كل لفظة بشاهد من شواهد العرب.

ثم بعده بدأت المؤلفات التي تدور حول الجانب اللغوي في القرآن تظهر في نهاية القرن الثاني من الهجرة، مثل:

معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة 207 هـ .

ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210 هـ.

وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد للمبرد محمد بن يزيد المتوفى سنة 285 هـ .

الشعبة الثالثة: علم التفسير: وللإشارة فإن مصطلح علوم القرآن قبل المائة الخامسة كان يراد منه التفسير، ولا يراد منه المعنى الاصطلاحي المتأخر، مثال ذلك:

كتاب المختزن في علوم القرآن لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 324 هـ وهو كتاب في التفسير بلغ فيه إلى سورة الكهف.

وكتاب الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي المتوفى سنة 388 هـ .

الشعبة الرابعة: علم أصول الفقه: وهذا العلم قبل المائة الثانية لم يكن مدونا إلى أن جاء الإمام الشافعي فألف "الرسالة في أصول الفقه"، وقد تعرض الإمام الشافعي في "الرسالة" لبعض مباحث علوم القرآن مثل:

جماع علم كتاب الله، ونزول القرآن بلسان عربي، ورده على مزاعم من ادعى أن في القرآن العربي والعجمي، ومعنى نزول القرآن على سبعة أحرف، والمجمل والمفسر في القرآن، والعام والخاص، ودرجات البيان في القرآن، وابتداء النسخ والمنسوخ والنسخ، ووجوه منزلة السنة مع القرآن.

كما ذكر في كتاب "جماع العلم": المجمل، والعام المراد به الخصوص، والعام المطلق، والناسخ والمنسوخ.

وعلى ذلك تتابع الأصوليون في دلالات الألفاظ، وتعريف القرآن، والكلام على متواتره وقراءته، وحكم تفسير الصحابي، والتفسير بالرأي ...

المرحلة الخامسة: من مراحل التأليف في علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير:

مثل ما فعله الإمام الطبري في تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، فقد تكلم في مقدمة هذا التفسير عن أربع قضايا:

القضية الأولى: الألفاظ التي اتفقت لغات الأمم فيها، يعني هل في القرآن غير العربي؟

القضية الثانية: اللغة التي نزل عليها القرآن من لغة العرب، ونزول القرآن على سبعة أحرف.

القضية الثالثة: وجوه تأويل القرآن.

القضية الرابعة: الكلام في أسماء سور القرآن وآياته.

ظهرت فيها مؤلفات جمعت أنواعا من علوم القرآن في ثنايا: المرحلة السادسة
موضوع عام تتحدث عنه:

وذلك مثل: كتاب "الانتصار لصحة نقل القرآن" لأبي بكر محمد بن الطيب
الباقلاني المتوفى سنة 403 هـ ، وهو كتاب وضعه للرد على الشكوك والشبه التي
أثيرت حول القرآن من قبل الرافضة والملحدين.

وردّ عليهم في عدة فصول: بدأ بالقراءات ونقلها وما يتعلق بها، ثم تكلم عن جمع
المصحف في عهد عثمان، ثم تكلم عن الادعاء في نقص القرآن وتغيير نظمه
وتحريفه، ثم تكلم عن الإعجاز ونزول القرآن على سبعة أحرف، كما اشتمل على
مباحث أخرى، مثل: أول ما نزل وآخره، والاختلاف في عدد الآيات، والمكي
والمدني، وترتيب سور القرآن هل هو بتوقيف أم باجتهاد، والكلام عن الآيات
المنسوخة، والكلام على معنى التكرار في القرآن وفوائده.

ومثل ذلك كتاب "جواهر القرآن ودرره" للإمام الغزالي المتوفى سنة (505هـ)،
وكتاب تلميذه ابن العربي المالكي "قانون التأويل" المتوفى سنة (543هـ): حيث
تكلم فيه عن الباطن من علوم القرآن، والحروف المقطعة أوائل السور، وبحث فيه
. مسألة دخول الاجتهاد في علوم القرآن، وتكلم عن التفسير الإشاري

أول من ألف في علوم القرآن

لابد من الإشارة في بداية هذا المبحث إلى أنه من الخطأ نسبة الكتاب إلى علوم
القرآن من خلال عنوانه فقط، لأن كثيرا من العلماء المتقدمين استعملوا لفظة
"علوم القرآن" بمعنى علوم التفسير ، فكتبهم المعنونة بهذا العنوان هي تفاسير،
إلا أنهم رتبوا تفسير الآية على فقرات تشتمل على: القراءة، واللغة، والإعراب،
والمعنى، والنظم، والأحكام...

مثال ذلك:

"المختزن في علوم القرآن" لأبي الحسن الأشعري، وهو تفسير مفقود، ذكر الداودي في طبقات المفسرين (391/1) أنه تفسير كبير بلغ فيه إلى سورة الكهف .

وكذلك كتاب "الأمد في علوم القرآن" وهو تفسير لعبيد الله بن محمد بن جرو 387هـ. الأسدي المعتزلي المتوفى سنة

وكتاب "الاستغناء في علوم القرآن" للأدفي المتوفى سنة (388هـ) وهو تفسير لخصه مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية.

وكذلك كتاب "التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" لأحمد بن عمار المهدي المتوفى سنة (440هـ)، قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون (462/1): وهو تفسير كبير بالقول، فسر الآيات أولاً، ثم ذكر القراءات، ثم ذكر الإعراب وكتب، في آخره قواعد القراءات، ثم اختصره وسماه "التحصيل"

والظاهر أن نشأة علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي: ظهرت في المائة الخامسة، وأول كتاب أبرز هذا المصطلح من حيث الاسم والمضمون هو: كتاب "التنبيه على فضل علوم القرآن" لأبي القاسم الحسن بن محمد النيسابوري - المشهور بابن حبيب - المتوفى سنة (406هـ) لأنه تكلم فيه: عن نزول القرآن - وعدّ خمسة وعشرين وجهاً من أنواع تنزلات القرآن كأول ما نزل من القرآن بمكة، و ما نزل بالطائف، ثم تكلم عن أنواع الخطاب في القرآن، وقسمها إلى خمسة عشر نوعاً، ثم تكلم عن آية لقمان: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات و ما في الأرض . وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) من حيث مكّيتها، و سبب نزولها

والموجود من هذا الكتاب: "باب عن وجوه الخطاب في القرآن"، نشره محمد عبد الكريم كاظم الراضي، بعنوان: "كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن" نشره في مجلة المورد العدد 4 سنة 1408 هـ عن نسخة الظاهرية.

ومنه قطعة في مكتبة كوبرلي زاده باسطنبول برقم (2/15).

لكن أوفق كتاب بالمعنى الاصطلاحي لعلوم القرآن وأحراها أن يكون سابقاً في هذا الميدان دون العنوان - بمعنى أن مضمونه في علوم القرآن، وإن كان عنوانه لم

يتضمن هذا اللفظ "علوم القرآن" -، هو كتاب "فهم القرآن" للحارث المحاسبي : المتوفى سنة (243هـ) وهو كتاب مؤلف من سبعة أقسام

القسم الأول: فضائل القرآن من الآيات والأحاديث، ثم ذكر فضائل القراء، ومن حفظ القرآن ووعاه.

القسم الثاني: فقه القرآن، وأن المقصود الأسمى منه هو الفهم، وذكر سبل الفهم وطرائقه.

القسم الثالث: المحكم والمتشابه، ذكر فيه المراد من المحكم والمتشابه مع إيراد آثار عن الصحابة والتابعين وأهل العلم كمالك وأبي عبيدة

القسم الرابع: ما لا يجوز النسخ وما يجوز النسخ فيه، وذكر أن النسخ لا يدخل في أسماء الله وصفاته وأخباره عن الأمم السابقة

القسم الخامس: مع المعتزلة دفاعات وإلزامات، حيث ناقشهم في الناسخ والمنسوخ، وفي بعض أصولهم كالتوحيد والوعد والوعيد

القسم السادس: ذكر فيه الناسخ والمنسوخ من الأحكام، وذكر فيه السور المكية والمدنية، وقسم فيه النسخ إلى خمسة عشر باباً، ومنها أقسام النسخ الثلاثة المشهورة

القسم السابع والأخير: ذكر فيه أساليب القرآن، حيث ذكر فيه: التقديم والتأخير، والإضمام، والحروف الزائدة، والمفصل والموصول

. وهو كتاب مطبوع مع كتاب العقل للحارث المحاسبي بتحقيق الدكتور القوتلي

أهم الكتب المؤلفة في علوم القرآن

وسنذكر فيه ستة كتب:

الكتاب الأول: "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي المتوفى سنة 597هـ، وهو كتاب وجيز، بلغت فيه أنواع علوم القرآن 21

نوعاً، وقد ألفه في سبعة أيام، واعتمد فيه على نقول من المتقدمين كالطبري وابن الأنباري وابن المنادي أحمد بن جعفر أبي الحسين صاحب "كتاب العدد" المتوفى سنة 336هـ، و"متشابه القرآن العظيم" لابن حبان البستي المتوفى سنة 354هـ.

الكتاب الثاني: "جمال القراء وكمال الإقراء" لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة 643هـ، وقد ضمن هذا الكتاب عشرة كتب، يوحى كل كتاب منها بأنه مصنف مستقل، لستة كتب منها تعلق مباشرة بالقراءة والقارئ والإقراء وهي: منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم، وتجزئة القرآن وذكر الشواذ، ومراتب الأصول وغرائب الفصول، ومنهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق، وعلم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء.

والأربعة الكتب الباقية لها اتصال بعلوم القرآن وهي: نثر الدرر في ذكر الآيات والسور، والإفصاح الموجز في إيضاح المعجز، وأقوى العدد في معرفة العدد، والطود الراسخ في المنسوخ والناسخ.

الكتاب الثالث: "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" لأبي القاسم عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة 665 هـ، وهذا الكتاب في الأصل هو شرح لحديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، لكن بناه المؤلف على ستة أبواب تضمنت من أنواع علوم القرآن ثمانية وهي:

كيفية نزول القرآن، وأول ما نزل منه وآخره، وجمع القرآن ومعرفة حفاظه، ومعرفة على كم لغة نزل، أي نزول القرآن على سبعة أحرف، ومعرفة المتواتر والصحيح من القراءة، ومعرفة الشاذ، وفضائل القرآن.

وأما الباب السادس من هذا الكتاب فهو: الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها.

الكتاب الرابع: "الإكسير في قواعد التفسير" لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي المتوفى سنة 716 هـ، وهذا الكتاب جعله مؤلفه في: مقدمة - تكلم فيها عن التفسير والتأويل والفرق بينهما -، ثم قسم كتابه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تكلم فيه عن الحاجة إلى التفسير والتأويل من بعض قراء القرآن.

والقسم الثاني: في العلوم التي اشتمل عليها القرآن، وينبغي للمفسر النظر فيها، وجعلها على نوعين: لفظي ومعنوي.

والقسم الثالث والأخير من هذا الكتاب: في علمي المعاني والبيان.

أما الكتاب الخامس والسادس: فهما مشهوران ولا نحتاج إلى تفصيل الكلام فيهما، لأنهما يعتبران مرجعا في هذه المادة، وسنتطرق فيما بعد للتفصيل في مباحثهما: أما الخامس: فهو "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 794 هـ .

والكتاب الأخير: "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي المتوفى سنة 911 هـ.

والحمد لله رب العالمين